الإبرة والخيط لدى درويش... رمزان يرمّمان فجوات الحياة

15 - يونيو - 2026

يختلف الشعراء عن غيرهم في توظيف تجليات الحياة، فهم يوظّفون الآلات مثلاً من خلال رمزية لغوية، لها وظيفتها المُبالغ بها، ومعناها المؤكّد عنها، كالسيف مثلاً، في الشعر العربي القديم، حين يُرمز للشجاعة، أو الرمح الذي يُشير للقوة، وما شابه، فضلاً عن أدوات الحياة اليومية الموظّفة شعراً.

الإبرة والخيط رمزان حاضران في حياة المرء منذ القدم، يُخيطان الثوب، وينسجان روحاً بروح؛ لتكون قطعة القماش ثوباً يُرتدى، أو تُفترش الأرض بها، وغيرها من الأشياء التي يُستفيد بها، فالإبرة والخيط، لهما وقع خاص لدى الشعراء، كالشاعر محمود درويش، الذي يوظّفهما بصورة مهيمنة، فهو يُعطي مُقابلاً تقليدياً في الصياغة، وتشبيها فنياً في الأداء؛ لأنّ وظيفة الأشياء لديه يكرّسها بعفويتها، ومن ثم يخلق مفارقات لغوية فنية مهمة، يرتقي بالنص من خلالها، ويركّز في معناها، فتبدو الوظائف المرجوّة، وتظهر السمات المخفية، فمنها ما يقع ضمن المادية المباشرة، ومنها ما يقع ضمن المضامين الحسية، فيُنتج المعنى المُراد

طرحه، ومن ذلك قوله:

الأرضُ مثل الثوب منسوجةٌ

بإبرة السُمَّاق في حُلْمِهِ المكسورْ

تُهيمن في كتابات درويش المعاني الحسّية في تقليديتها، كـ(الحلم، الانكسار، الروح) وغير ذلك، فهو يُفشي أسرار لغته من خلال علامات التركيب لديه، إذ يحاول أن يجمع بين نقيضين؛ ليكونا تحت معنى واحد، ويفرّق بين متشابهين من أجل لغة منسجمة، كما في هذا النص (الأرضُ/ الثوب ـ منسوجةٌ/ بإبرة السُمَّاق/ حُلْمِهِ/ المكسورْ)، ومن ثم فهو يحوّل اللفظين من واقعهما التقليدي المعتاد إلى رمزية مُفعمة بالمضمون، ومكثّفة بالإيحاء، ومثل ذلك أيضاً:

أزهارٌ صفراء توسِّع ضوء الغرفة.. تنظر

إليّ أكثر ممّا أنظر إليها.. هي أولى رسائل

الربيع.. أهْدَتنِيها سيِّدةٌ لا تشغلها الحرب

عن قراءة ما تبقَّى لنا من طبيعة

متقشفة.. أغبطها على التركيز الذي يحملها

إلى ما هو أبعد من حياتنا المهلهلة...

أغبطها على تطريز الوقت بإبرة وخيط

أَصفر مقطوع من الشمس غير المحتلة.

يُضفي الشاعر درويش لغة متينة، بدلالات رمزية، مؤثرة، تُحين عليه مثل كلّ مرة، فهو يحاول (تطريز) الوقت بإبرة وخيط، وهنا تكتمل صورة الغياب مع الوجود، لحظات غير محسوسة، بأدوات واقعية لها حضورها اليومي، خاصة في البيوت العالقة في الذهن، إذ إنّ الشاعر حوّل (الوقت) الى شيء مادي أشبه بخرقة ممكن أن تُطرّز، ومن ثم فهو أعطى للأشياء حيوية وديمومة، فضلاً عن تحريك معانيها إلى تجليات أُخر.

تتميز نصوص درويش بالوعي، فهي، أي نصوصه الشعرية، تحتاج إلى متلقٍ واعٍ يعي ما يُكتب، ويعرف ماذا يُقدّم من لغة متداخلة معنى،

ومكتملة شكلاً، سواء في الكلمة وإيحائها، أو في مجموع النص بوصفه إيقونة لغوية متكاملة:

الفراشة تنسج من إبرة الضوء

زينة ملهاتها

الفراشة تولد من ذاتها

والفراشة ترقص في نار مأساتها

فَتَّشْتُ عن نفسي، فأرجعني السؤالُ إلى الوراءْ

يُسهم محمود درويش في تدبير لغته، وتكوير معناها، فهو يحاول أن يخرج بالنص إلى الإيجاز في التعبير، والتكثيف في الدلالة؛ ومن ثم يخلق نصاً بأقل الألفاظ تبذيرا، وأكثرها دلالة:

لا شيء يأخذني إلى شيءٍ. وينسدلُ الفضاءُ علىَّ مشنقةً ويندسُّ المدى في ثُقْب إبرة عاشقهْ..

يستعمل درويش (الإبرة) في تجليات مختلفة، ويوظّفها في طرق ٍ متنوعة، مبنية على واقع ملموس، وحلم غير محسوس، إذ تُحوّل لديه على وفق دلالات تؤثر في المتلقي، فهو هنا، يجعل من انسدال الفضاء، على مشنقة يندسّ المدى في ثقب إبرة عاشقه، إذ يُعطيها سمات جمالية، لكن كيف يجيء الوصف، وكيف يُستثمر، هو يجعل من جماليات المدى يندسّ في (ثقب إبرة) وهي دلالة على (المعنى) وعمقه مقابل (أهمية الإبرة) على الرغم من صغرها، وبين المتناقضين ثمة (لغة مختصرة) لمزايا (شاسعة)، إذ قرّب الشاعر البعيد، ولم يبعد القريب، وهو بين الأمرين جمع مفردات؛ لنكون إزاء رؤية جمالية مؤثرة:

أَرى لُغَتي كُلَّها

على حبَّة القَمْحِ مكتوبةً

بإبرة أُنثى

يُنَقِّحُها حَجَلُ الرافِدَيْن

يعمد الشاعر محمود درويش في تبنيه لمفرداته أن يُطيّع سهو الكلمة إلى تبنيها، وترهّل المعنى إلى ازدرائه ؛ ليكون المعنى ذا دلالات عميقة:

من سماءٍ

إلى أختها

يعبر الحالمون

ألفراشة تنسج من إبرة الضوء

زينة ملهاتها..

تهمين اللغة الحسّية وغير المحسوسة، لدى درويش، فهو يركّز على معنى روحي ونفسي أكثر من المعاني المادية المحسوسة في تفاصيلها، فهو يخوض في ثنائيات صدقها في خيالها (الحالمون/ المهمشون، الغائبون/ الحاضرون، العائدون/ الراحلون، الضوء، العتمة، الحياة/ الموت) وغيرها من الثنائيات التي تُعطي للمتلقي الإحساس بلذة الكلمة ومعناه، في لحظات البقاء أو الانتظار:

تبعثروا كالريش.. سجَّادٌ من الصوف المجعَّد.

مُعْجَمٌ مُتآكل.. كُتُبٌ مُجَلِّدةٌ

على عَجَل.. مخدّاتٌ مطرَّزَةٌ بإبرة

خادم المقهى..

تتحول لحظات الشاعر محمود درويش اليومية في واقعيتها إلى رمزية في سلوكيات اللغة، إذ يمزج الشاعر ما بين واقعية يومية مع خيال مُفترض؛ لنكون إزاء صوت شعري حالم، يتخذ من دلالتي (الإبرة) و(الخيط)، أداتين لتطريز ما تبقى من الوقت، وترميم ما أُتيح من ضوء؛ لتصير الأشياء اليومية لديه، خيالاً مؤثراً في ذهن المتلقي.

كاتب عراقي

كلمات مفتاحية

أثير الهاشمي | محمود درويش

اترك تعليقاً

لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

التعليق *

الاسم *

البريد الإلكتروني *

إرسال التعليق

سميحة مذبوح يونيو 16, 2026 الساعة 4:39 م

محمود درويش الشاعر المبدع كتب الشعر لكل .وقت تقرأ فيه ذاتك والآخر وكل العالم .كأن القصيدة لديه ملاذا للغة تنسج الحياة باستمرار وتحيي ذاكرة وجودنا ...
مقالة رائعة .

رد

أثير الهاشمي يونيو 17, 2026 الساعة 9:40 ص

فعلا .. شكرا جزيلا لمروركم العذب

رد

اشترك في قائمتنا البريدية

أدخل البريد الالكتروني *

اشترك

حولنا / About us

أعلن معنا / Advertise with us

أرشيف النسخة المطبوعة

أرشيف PDF

النسخة المطبوعة

سياسة

صحافة

مقالات

تحقيقات

ثقافة

منوعات

لايف ستايل

اقتصاد

رياضة

وسائط

الأسبوعي

جميع الحقوق محفوظة © 2026 صحيفة القدس العربي

adberries